تردي واقع التعليم في الأهوار وأثره في تكريس الثقافة التقليدية

م. محمد حمود إبراهيم
جامعة ذي قار - مركز أبحاث الأهوار

يعد النسق الثقافي أهم انساق البناء الاجتماعي، لما للثقافة من أثر كبير ومهم في عملية التنشئة الاجتماعية ا ي تساعد الإنسان منذ الصغر وحتى مراحل متأخرة على انتهاج سلوك اجتماعي يتناسب مع الإطار العام لمجتمعه . وتتحكم الثقافة إلى حد كبير في صيرورة المجتمع، فهي إما مساعدة داعمة لعملية الإبداع والتقدم، أوهي مثبطة معوقة لهذه العملية، وفي مجتمعات الأهوار تس هم الثقافة التقليدية في عملية التخلف الاجتماعي العام . وبما أن التعليم احد القنوات الرسمية الرئيسة التي تغذي الثقافة فان الدول المتقدمة والنام ية على حد سواء اعت ت عليه في عملية التقدم الاجتماعي و التر المنشوا .

يحاول البحث أن يبين كيف سهم التعليم ويسهم بواقعه المتردي في تكريس الثقافة التقليدية في الأهوار ، ما يجعل هذه المجتمعات تدور في دوامة التخلف والأمية والمرض والفقر . عتم ا قاعدة بيانات تم الحصول عليها من مشروع ن للمسح الاجتماعي، الاقتصادي والديموغرافي لمناطق الأهوار العراقية، المشروع الأول قامت به منظمة تطوير ثقافة عرب الأهوار في عام ٢٠٠٦ ، والثاني أنجزه مركز أبحاث الأهوار في جامعة ذي قار بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة . وقد أسهم ا باحث في انجاز هذين المشروعين من خلال إدارته لهما وقيام ه بأهم العمليات م ن صياغ ة استمارة جمع المعلومات وإدارة إجراء المقابلات الميدانية وجمع البيانات وتبويبها وأخيرا تحليل البيانات وكتابة التقارير النهائية .

الفصل الأول. الإطار العام للبحث:

أولا . مشكلة البحث:

يعد التعليم Education من أهم القطاعات التي تهتم بها الأمم والمجتمعات في عمليات التقدم الاجتماعي ocial progress ، وص ه أهم القنوات التي يمكن من خلالها إيصال البرامج التنموية الشاملة إلى أهدافه . وقد أثبتت التجارب العالمية ان المجتمع غير المتعلم لا يمكنه نتاج فرص أفضل للحيا .

والتعليم في الأهوار في الوقت الحاضر يعد من أهم أسباب تلكؤ التغي ر الاجتماعي Social change نحو الأفضل وتعثره، إذ أن الأمية تستمر في إنتاج مجتمع تقليدي Traditional community لا يستطيع إدارة نفسه أدارة عصرية فيحاكي مجتمعات أخرى، حتى تلك ال محيطة به في الريف والمناطق الحضرية . أن التعليم في مناطق أهوار جنوبي العراق بصورته الحالية يمثل مشكلة معقدة ومركبة omplex problem: ، لابد من إيجاد الحلول لها بغية النهوض بهذا المجتمع الذي عانى كثيرا من سياسات التهميش والتشريد والتهجير، و من التخلف بكافة صوره بصورة عاما .

ثانيـ . أهداف البحث:

يرمي الباحث تحقيق جملة من الأهداف التي يمكن إجمالها بالآتي ــ

ا . تشخيص أهم المعوقات في طريق نجاح العملية التربوية والتعليمية في مناطق الأهوار .

١ . التعرف على كيفية تأثير التعليم في الثقاف .

٢ . التعرف على الثقافة بوصفها نسقا رئيسر ا من انساق البناء الاجتماعي وتأثيرها في تأطير السلوك العام للمجتمـ .

٤ . تقييم عمليات إعادة إنعاش الأهوار التي جرت طوال الأعوام الخمسة الماضية لاسيما ما يتعلق منها بالتعلي .

ثالثا- أهمية البحث:

لا خلاف خول أهمية التعليم في عملية التنمية والتطور، فلق د بلغت ا بشرية أوج مراحل تطورها الحالية بالتعليم بعد أن استبدلت الأساليب التقليدية بأخرى تتلاءم مع روح العصر . وتأتي أهمية دراستنا من الأهداف التي رسمتها وقصدت من ورائها الاهتمام بقطاع التربية والتعليم والنهوض به في مناطق الأهوار؛ إذا ما أريد إحداث تغيير شامل في رؤى الناس وأفكارهم التقليدية نحو آفاق أوسع يتم من خلالها جعل الإنسان ذاته قيمة عظمى في الحياة، وتحدث من خلال ذلك عملية التغير المدروس داخل الإنسان نفسه أولا .

أن عملية التقويم وتشخيص نقاط الخلل داخل أية عملية بناء ضرورة لاغني عنها، من أجل تشخيص الأخطاء مبكرا وبالتالي تنظيم آليات النشاط قبل أن تستفحل الأخطاء ويصعب الرجوع عنه . ودراستنا هذه تبغي تقويم أداء عملية إنعاش الأهوار من خلال تركيزها على التعليم بعد أن أصبح مهشما ومهمشا من بين كافة القطاعات الأخرى، الأمر الذي أسهم في تكريس حالات التخلف العام وانتشار الأ ية وشيوع مفردات الثقافة التقليديا .

رابعا . أهم المصطلحات والمفاهيم العلمية :

نستعرض مجموعة مفاهيم ومصطلحات علمية ترد في هذه الدراسة، نرى ضرورة تعريف القارئ بها كي لا يواجه صعوبة عندما يتناولها في متن الدراسة، وهي كالآتي ـــ

أ . سكان الأهوار عرب الأهوار)(* : هم السكان الأصليين للأهوار ويعيشون في أعماقها ويتفاعلون مع بيئتها الطبيعية تفاعلاً تاماً، ينعكس على مجمل أنشطتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية . يتأثر هؤلاء السكان بمجموعة عادات وتقاليد وقيم وأفكار ومعتقدات تميزهم عن بقية المجتمعات الأخرى، التي تشكل النسق الثقافي لهم . كما أن لديهم مجموعة أنشطة اقتصادية مرتبطة ببيئة الأهوار الطبيعية مثل قص القصب وتصنيعه، وصيد الأسماك والطيور، وتربية الجاموس وبيع منتجاته، وجميع هذه المفردات تشكل النسق الاقتصادي لهذه المجتمعات .

ب . سكان ضفاف الأهوار(**) : هم السكان الذين يقطنون مناطق ريفية محاذية للأهوار، غالباً ما تصل الأهوار الموسمية إلى جزء من أراضيهم، إلا أن لديهم ما يميزهم عن عرب الأهوار ، ويظهر ذلك في جوانب الثقافة والاقتصاد . يمارس هؤلاء السكان أنشطة زراعية دائمة وموسمية مثل زراعة النخيل والرز والحنطة والشعير، كما أن لهم نسق ثقافي مميز نوعاً ما مع وجود فروقا في الثقافات الفرعية بين منطقة وأخرى . ومع ذلك فان هناك بعض العوامل المشتركة التي تجمعهم بسكان الأهوار وإن كانت ضعيفة .

ج . الثقافة Culture : يوجد اختلاف في ترجمة مصطلح Culture بين الانثروبولوجيين والسوسيولوجيين، إذ يعتقد أصحاب رأي الأول أن المصطلح يشير إلى كلمة حضارة ، فيما يذهب الطرف الثاني إلى أنها تشير إلى كلمة ثقافة، وسوف نشير إليها في هذه الدراسة على أنها ثقافة ". أن الثقافة كما عرفها تايلور) هي الكل المركب الذي يتكون من المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات والأعراف التي يكتسبها الإنسان من خلال عضويته في المجتمع الذي يعيش فيه ". ولا يختلف تعريف ريد فيلد) كثيراً عن هذا فهي عنده مجموعة المفاهيم والمدركات المصطلح عليها في المجتمع التي تظهر واضحة في الفكر والفن ومجموعة الحرف التي يمارسها ذلك المجتمع من خلال استمراريتها ودوامها عن طريق التقاليد التي تميز الجماعة الإنسانية عن غيرها بشكل واضح ". إما عند كروبر وكلاكهون) فأنها تعني جميع مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، الصريحة منها والضمنية ، العقلية منها وغير العقلية الموجودة في أي وقت كموجهات لسلوك الناس عند الحاجة ".

د . التطور الاجتماعي Social evolution : وهو عملية تطور تدريجي، يحدث إما بصورة عفوية، أو موجهة في منظومة الأفكار، والنظم، والمعايير، والتطبيقات، والعلائق، والفاعليات

الاجتماعية السائدة في المجتمع . ويقوم مفهوم التطور على فكرة إن النظم الاجتماعية كافة تمر بمراحل معينة تنتقل من خلالها من مرحلة بسيطة إلى مرحلة أكثر تعقيداً ، من هنا تأتي أهمية التطور الاجتماعي الموجه لسكان الأهوار في الوقت الحاضر والمستقبل لإحداث التطور التدريجي في المنظومة المشار إليها آنفاً .

١. التغير الاجتماعي Social Change : تشير عالمة الانثروبولوجيا لوسي مير) إلى أن مصطلح "social change" شديد القرب في معناه من مصطلح تغير ثقافي "change Cultural" فيتطابق معنيا المصطلحين . ويعني التغير الاجتماعي بعامة التبادلات الهامة في العلائق والنظم والقيم والمعايير والعادات الاجتماعية الثابتة والنسبية التي تكون البناء الاجتماعي، نتيجة مؤثرات وعوامل حضارية واقتصادية وسياسية تتفاعل مع بعضها .

٢. محو الأمية Illiteracy eradication : تعاني مجتمعات الأهوار من ارتفاع نسب الأمية بين أفرادها ، وللأمية محوران ، أو هما الأمية الأبجدية التي تعني عدم القدرة على القراءة والكتابة والحساب ، والمحور الثاني الأمية الحضارية . وإذا كان المحور الأول يتكرس وينتشر في المجتمعات التقليدية لاسيما التي تتعرض لنكبات مستمرة تجعلها عاجزة عن محو أميتها الأبجدية، فان الأمية الحضارية منتشرة في العديد من مجتمعات العالم الثالث ومنها مجتمعاتنا العربية في الأرياف والمدن على حد سواء . من هنا يتضح أن أمية سكان الأهوار مزدوجة تجمع بين الأمية الأبجدية والأمية الحضارية . إما محو الأمية فيعني في ابسط صوره القيام بوضع وتنفيذ برامج وخطط كفيلة بـ محو أمية السكان وتأهيلهم القراءة والكتابة والحساب ورفدهم بصورة موازية لذلك بالمعارف الحضارية التي تزيل عنهم غشاوة الأفكار العقيمة التي وقفت ولا زالت عائقاً صلباً في عملية التغيير والتطوير لديهم .

٣. تنشئة اجتماعية Socialization : حد مصطلحات علم النفس الاجتماعي، عني عملية اجتماعية نفسية تتقوم بها نفسية الفرد وتتطور بالتعلم في العائلة وخارجها وبوسائل الضبط الاجتماعي، من اجل أن يتوائم الفرد مع حضارته، ويصبح قادرا على العيش في مجتمعه، وعلى تطبيق نظمه والتفاعل مع إفراد . وتتضمن عملية غرس قيم الجماعة، ومثلها وأهدافها في نفس الفرد وتعليمه كيفية التعبير عنها بـ معايير اجتماعية وبأطر من ادوار وفعاليات اجتماعية . وتستغرق هذه العملية عمر الفرد بأكمله، إذ تبدأ مع الولادة وتستمر طيلة أطوار الحياة .

خامساً. المجال المكاني للدراسة:

تشمل الدراسة مكانيا قرى الأهوار العراقية التي تقع في المحافظات الجنوبية البصرة ذي قار وميسان) المحصورة بين الضفة اليمنى من نهر دجلة وبين الضفة اليمنى من نهر الفرات . لقد ضمت الدراسة أقضية ونواحي القرنة والمدينة والثغر والهوير وطلحة والدير

وكرمة علي في محافظة البصرة، واقضيه ونواحي الميمونة والمجر والخير والعدل والسلام والعزير في محافظة ميسان، فيما اشتملت على قضاء الجبايش وناحيتي الفهود والحمار في محافظة ذي قار فقط . فيما لم تشتمل الدراسة مناطق أخرى لها هوار مثل سوق الشيوخ ونواحيه في محافظة ذي قار وقضاء الكحلاء ونواحيه فضلا عن قضاء قلعة صالح في محافظة ميسان، كذلك مناطق شرق دجلة وشرق شط العرب في محافظة البصرة .

يقدر إجمالي عدد سكان الأهوار الذين شملتهم الدراسة ١٩٩ قرية) بنحو ٣٤٦٢٩١ نسمة ٥٩ ٪ منهم يعيشون في قرى التي تقع على ضفاف الأهوار في حين ان ٩' ٪ منهم يعيشون في القرى التاخمة للأهوار . متوسط عدد سكان القرية الواحدة هو ١٠٠ شخص ، فيما تبلغ نسبة القرى التي قل عدد سكانها عن ٠٠٠ شخص ٧ % ونسبة تلك التي تضم اقل من ٢٠٠٠ شخص ٢ % من إجمالي عدد القرى التي شملها المسح . نصف المنازل تقريبا مبنيا من الطين أو القصب . متوسط حجم الأسرة الواحدة ٤.٨ شخص، ومتوسط حجم الأسر التي تعيش في بيت واحد ١.١ شخص . عموما فأن هناك اثنتين أو أكثر من العوائل تعيش في بيت واحد زيد مساحته عن ٨٣ مترا مربعا ١٠٠ ياردة مربعة).

يعتقد الباحث أن عينة الدراسة هي عينة ممثلة لمجتمع البحث ولا تؤثر المناطق التي لم تشمل بهذه الدراسة على أهدافها ونتائجها لان هذه النتائج ستكون ممثلة لواقع التعليم في مناطق الأهوار بصورة موضوعية وعلمية دقيقة . لقد ضمت هذه الدراسة ١٩٩ قرية من قرى الأهوار التي تقع ضمن تصنيفات محددة هي أعماق الأهوار وضفافها والمناطق المتاخمة لها وبذلك فان الدراسة كانت مستوفية لكافة الشروط اللازمة لإنجاحها واعتماد نتائجها بسبب مصداقية بياناتها ودقة التحليلات التي أجريت عليه .

سادسا. المجال الزمني:

استمرت مدة الدراسة طوال ستة أشهر، بتدأت في حزيران و نتهت في كانون الأول من عام ٢٠٠٧ ، توزعت بين صياغة استمارة جمع المعلومات والقيام بعملية جمع البيانات من خلال عملية المسح الميداني لمناطق الدراسة، تم أجراء عمليات الجمع والتبويب بعدها قام الباحث بعملية التحليل ووضع النتائج .

سابعا. منهجية الدراسة:

اعتمد الباحث منهجية البحث العلمي المعتمدة في المسوح الاجتماعية، وحرص على انتهاج الموضوعية والدقة العلمية في طرق وأدوات جمع البيانات من العينات الممثلة لمجتمع البحث . قام بوضع خطة دراسة تناولت جوانب مختلفة في بيئة الأهوار الاجتماعية مع تركيز واضح على واقع التعليم بصورة أكثر خصوصية إيمانا منه بالأهمية الفائقة للتعليم محور ا

رئيسا للتغير الاجتماعي، كذلك إدراك الباحث لضرورة كشف وتشخيص المشكلات التي يعاني منها التعليم في مناطق الأهوار .

الفصل الثاني. واقع التعليم الابتدائي لقرى الأهوار في الوقت الحاضر:

مما لا يقبل الشك أن التعلم أصبح ومنذ أكثر من قرن من الزمن احد أهم أدوات التغير الاقتصادي والثقافي وبالتالي الاجتماعي في مختلف بقاع العالم . وصار العالم المتحضر يقيس مدى نموه في مختلف المجالات من خلال ما يحققه من نسب متقدمة في التعليم . لقد ظلت طرق التعليم وأدواته تتطور وتتبدل بمرور الزمن كي تتلاءم مع المتطلبات العديدة التي أصبحت تظهر باستمرار، إلا أن اغلب المجتمعات النامية ظلت بعيدة عن هذا التطور لأسباب عديدة تتعلق بمجملها بمفردة الفقر الاقتصادي أو الثقافي أو التخطيطي ونقع نحن تحت طائلة النوعين الأخيرين من هذا الفقر .

أن نظرة سريعة على مجمل العملية التعليمية والتربوية في عموم العراق تدلنا بوضوح إلى الانتكاس والتخلف في مجمل مرافق وبرامج ومنتجات هذه العملية، وهذه نتائج موضوعية للأسباب المعقدة والمتداخلة للوضع في العراق بعد عام ١٩٨٠ وحتى الآن، تمثلت بثلاثة حروب مدمرة وحصار اقتصادي عقيم، فضلا عن إرهاصات الاحتلال وما نتج عنه من قتل وتدمير وتهجير، يرافق جميع هذه العمليات غياب ونقص فضيع في الرؤية والتخطيط المستقبلي لدى الجهات المختصة في الدولة .

لكي لا اخرج عن الموضوع الذي أتناوله وهو واقع التعليم في الأهوار فأنني سأتناول بالتحليل العلمي مجموعة من الجداول التي تشير إلى حقائق غاية في الأهمية والخطورة لوضع التعليم في مناطق الأهوار :-

أولا. توزيع القرى المشمولة في الدراسة:

اشتملت الدراسة على ١٩٩ قرية من قرى ومستوطنات الأهوار في المحافظات الجنوبية الثلاثة البصرة، ذي قار وميسان ، ففي محافظة ذي قار شملت الدراسة ٣٨ قرية بواقع ٢٠ قرية في قضاء الجبايش و ١٦ في ناحية الفهود، ٢ في ناحية الحمار في محافظة ميسان كانت ٢١ قرية في قضاء الميمونة و ١٦ قرية في ناحية السلام و ١٤ قرية في قضاء المجر ١٢ قرية في ناحية العدل، ١٢ قرية في ناحية الخير ٥ قرى في ناحية العزير . في محافظة البصرة كانت ١٥ قرية في قضاء القرنة و ١٤ قرية في ناحية الثغر و ١١ قرية في قضاء المدينة ٦ في ناحية الهوير ١٤ في ناحية لدير ١٥ قرية في الهارثا ، وبذلك يكون المجموع الكلي للقرى التي شملتها الدراسة هو ١٩٩ قرية .

Table (1) No. of the surveyed marshland villages according to the administrative units.

Gover.	Thi- Qar			Missan						Basra						
Administrative unite	ALChibayish	AL Fihood	AL Ham mar	AL Meimuna	AL Salaam	AL Majer	AL Adeel	ALKheir	AL Uzeir	AL Qurna	AL Theger	AL Medeana	AL Haweer	Talha	AL Deer	AL Hartha
No. of villages	٢٠	١٦	٢	٢١	١٦	٦	١٤	١٢	١٢	٥	١٥	١٤	١١	٦	١٤	١٥

ثانيا- سكان قرى الأهوار ونسبتهم إلى مجموع سكان الوحدات الإدارية

من اجل تبيان الحقائق المتعلقة بمشكلة التعليم في الأهوار فقد حرصت أن أقارن البيانات المتعلقة بهم بمجمل البيانات المتعلقة بالوحدات الإدارية التي تقع قراهم ضمن نطاقها، لعدة أسباب موضوعية من أهمها أن يلاحظ المخططين في الحكومة المركزية أو الحكومات المحلية ومجالس المحافظات النسب المئوية التي يشكلها مجموع سكان الأهوار إلى المجموع الكلي لسكان الوحدات الإدارية التي تتبع لها حتى يستطيعون أن يجدوا الكيفية التي يضع الحلول وفقه .

لقد كانت نسبة سكان الأهوار إلى مجموع سكان الوحدات الإدارية في المناطق التي شملتها الدراسة في محافظة ذي قار الجبايش ، الفهود والحمار) هي ٢.٤٨ % ، ، في محافظة ميسان كانت النسبة ١ % تقريبا وفي البصرة كانت حوالي ٤ %. وتوضح لنا هذه النسبة العامة وهي ١.٦٦ % الحيز الديموغرافي الكبير الذي يشغله سكان الأهوار من المِ موع الكلي لسكان الوحدات الإدارية التي يقعون فيها والذي يجب أن يؤخذ بالحسبان عندما يتم التفكير في بناء المدارس والمؤسسات التربوية والتعليمية ويوضح لنا الجدولين رقم ١) ورقم ٢) أعداد السكان ونسبهم بالتفصيل .

لقد تم ملاحظة أن القسم الأكبر من مشاريع الت نمية على قلتها) تم انجازها داخل الحدود البلدية للوحدات الإدارية ضمن مناطق الأهوار بينما تم استثناء القرى، خاصة البعيدة عن المراكز، من هذه المشاريع ومن ضمنها المدارس .

Table (2) No. and percentage of marshland population to the total population.

Governorate		Population		
		Current total Population	Marshland Population	Percentage (%)
Surveyed administrative units	Thi-Qar	٨٦١٩١	53٨٥٣	٦٢.٤٨
	Missan	٢٩١٨٤٢	١١٩٤١٥	٤٠.٩١
	Basra	٧١٥٦٥٣	١٧٣٠٢٣	٢٤.١٧
Total		١٠٩٣٦٨٦	٣٤٦٢٩١	٣١.٦٦

Table (3) No. and percentage of marshland population to the total population.

Governorate	Surveyed Administrative units	Population		Percentage (%)
		Total population	Marshland population	
Thi- Qar	Al – Chibayish	٣٦٦٢٥	٢٤٦١٣	٦٧.٢٠
	Al -Fihood	٤١٥٣٧	٢٢٢٤٠	٥٣.٥٤
	Al-Ham mar	٨٠٢٩	٧٠٠٠	٨٧.١٨
Missan	AL Meimuna	٥٨٧٣٠	٢٣٤٥٠	٣٩.٩٢
	AL Salaam	٣٨١٦٧	١٥٢٠٠	٣٩.٨٢
	AL Majer	٨٧٤٣٠	٥٦٩٥	٦.٥١
	AL Adel	٣٦٨٤٠	١١٥٩٠	٣١.٤٦
	ALKheir	٤٧٤٢٥	٤٦٤٧٠	٩٧.٩٨
	AL Uzeir	٣٥٢٥٠	١٦٦٩٠	٤٧.٣٤
Basra	AL Qurna	١١٠١٠٠	١٣٤٥٠	١٢.٢١
	AL Theger	٤٠٢٢٠	٣٢٧٩٠	٨١.٥٢
	AL Medeana	١٢٦٤٠٠	٣٥٤٢٥	٢٨.٠٢
	AL Haweer	٨١٥٠٠	٢٥٩٥٠	٣٢.٢٣
	Talha	٤٢٢٢٠	١٩٣٠٠	٤٥.٧١
	AL Deer	٨٠٢٠٠	٣٣٠٣٠	٤١.١٨
	AL Hartha	٢٣٥٠١٣	١٣٠٧٨	٥.٥٦
Total		١٠٩٣٦٨٦	٣٤٦٢٩١	
General Total		١٤٣٩٩٧٧		

الجدول – عدد القرى الممسوحة في الوحدات الإدارية وأعداد السكان فيها

المحافظة		مجموع سكان الوحدة الادارية	عدد القرى الممسوحة	سكان القرى الممسوحة	النسبة المئوية لسكان القرى الممسوحة إلى المجموع العام لسكان لوحدة الإدارية
القضاء	الناحية				
محافظة ذي قار					
الجبايش	الجبايش	٣٦٦٢٥	٢٠	٢٤٦١٣	٦٧
	الفهود	٤١٥٣٧	١٦	٢٢٢٤٠	٥٤
	الحمار	٨٠٢٩	٢	٧٠٠٠	٨٧
المجموع الفرعي		٨٦١٩١	٣٨	٥٣٨٥٣	٦٢
محافظة ميسان					
الميمونة	السلام	٥٨٧٣٠	١٦	١٥٢٠٠	٤٠
	الميمونة	٣٨١٦٧	٢١	٢٣٤٥٠	٤٠
المجر	المجر	٨٧٤٣٠	٦	٥٦٩٥	٧
	الخير	٣٦٨٤٠	١٢	٤٦٤٧٠	٣٢
	العدل	٤٧٤٢٥	١٤	١١٩١٠	٩٨
قلعة صالح	العزير	٣٥٢٥٠	١٢	١٦٦٩٠	٤٧
المجموع الفرعي		٣٠٣٨٤٢	٨١	١١٩٤١٥	٣٩
محافظة البصرة					
القرنة	القرنة	١١٠١٠٠	٥	١٣٤٥٠	١٢
	الثغر	٤٠٢٢٠	١٥	٣٢٧٩٠	٨٢
	الدير	٨٠٢٠٠	١٤	٣٣٠٣٠	٤١
المدينة	المدينة	١٢٦٤٠٠	١٤	٣٥٤٢٥	٢٨
	الهوير	٨١٥٠٠	١١	٢٥٩٥٠	٣٢
	طلحة	٤٢٢٢٠	٦	١٩٣٠٠	٤٦
البصرة	الهارثة	٢٣٥٠١٣	١٥	١٣٠٧٨	٦
المجموع الفرعي		٧١٥٦٥٣	٨٠	١٧٣٠٢٣	٢٤
المجموع الكلي		١١٠٥٦٨٦	١٩٩	٣٤٦٢٩١	٣١

تتراوح معدلات أعداد السكان في هذه القرى بين ٧٥ نسمة كحد أدنى و ١٨٥٠٠ نسمة كحد أعلى مع متوسط عام ١٠٠ شخص للقرية الواحد . أن ما يقرب من نصف هذه القرى ٧ ٪ أو ٩٤ قريا) يكون سكا ها اقل من ١٠٠٠ شخص وقرابة ثلاثة أرباع ٢ % أو ١٤٤ قريـ) يكون سكانها اقل من ٢٠٠٠ شخص ، يجب اعتماد هذه الحقائق في أعداد السكان لغرض توفير الخدمات العامة بصورة منصفة وموضوعيا .

جدول رق – مع ت السكان في القرى التي تم مسحها .

المحافظة	سكان القرى الممسوحة			عدد القرى		
	الحد الأدنى	المتوسط	الحد الأعلى	اقل من ١٠٠٠ شخص	أكثر من ٢٠٠٠ شخص	المجموع
ذي قار	١٨٠	٩٥٠	٦٠٠٠	١٩	٢٩	٣٨
ميسان	٧٥	٧٦٠	١٨٧٥٠	٤٤	٦٣	٨١
البصرة	١٠٠	١٣٢٥	١٥٠٠٠	٣١	٥٢	٨٠
الإجمالي	٧٥	١١٠٠	١٨٧٥٠	١٤ (د ٧٠)	٤٤ (د ٢٢)	١٩٩

ثالثا- أهم الحقائق والبيانات التي تتعلق بالتعليم الابتدائي :

. توزيع المدارس وأعداد التلاميذ والمعلمين وغرف الدرس :

بلغت عدد المدارس في أهوار قضاء الجبايش في محافظة ذي قار ٢٤ مدرسة توزعت على ٢٠ قرية بينما حرمت ١٨ قرية من وجود المدارس فيها وبنسبة ٧.٣٦ %. وفي محافظة ميسان توجد ٤٨ مدرسة في ٤٨ قرية بينما حرمت من وجود المدارس ٣٣ قرية أخرى وبنسبة ٠.٧٤ % ، وفي محافظة البصرة توجد ٦٦ مدرسة في ٥٢ قرية في الوقت الذي انعدم وجودها في ٢٨ قرية أخرى وبنسبة ٥ %. ويظهر لنا أن هناك ٧٩ قرية نائية في المناطق التي شملتها الدراسة من أهوار المحافظات الثلاثة تفتقر تماما لوجود مدارس ابتدائية فيها وتشكل هذه ما نسبته ٠ % تقريبا من مجموع القرى التي تم مسحها . لقد بلغ مجموع عدد التلاميذ في مدارس أهوار الجبايش الأربعة والعشرين ٤١٨٠ تلميذ يقوم بتعليمهم ما مجموعه ٢٨٢ معلم في غرف درس يبلغ مجموعها ١٥٢ صفا . وفي أهوار ميسان بلغ مجموع عدد التلاميذ ٦٢٦٦ يقوم بتعليمهم ٣٤٨ معلم في ٢٦٢ غرفة درس، وفي أهوار محافظة البصرة فأن هناك ما مجموعه ١٨٦٥٥ تلميذ يقوم على تعليمهم ٧٥٩ معلم في ٦٦ مدرسة يبلغ مجموع غرف الدرس فيها ٢٨ صفا .

Table (6) Different facts about primary schools in the surveyed marshland villages in the three governorates

Governorate	No. of villages	No. of villages with school	Total no. of schools	Total no. of the classrooms	Total no. of Pupils	Total no. of teachers	No. of village with no primary school	Percentage of villages with no schools
Thi-Qar	٣٨	٢٠	٢٤	١٥٢	٤١٨٠	٢٨٥	١٨	% ٧.٣٦
Missan	٨١	٤٨	٤٨	٢٦٩	٦٢٦٦	٣٤٨	٣٣	% ٠.٧٤
Basra	٨٠	٥٢	٦٦	٥٢٨	١٨٦٥٥	٧٥٩	٢٨	% ٥
Total	١٩٩	١٢٠	١٣٨	٩٤٩	٢٩١٠١	١,٣٩٢	٧٩	% ٩.٦٩

Table (7) important facts about the primary schools in the surveyed marshland villages in the three governorates.

Fact	Governorate			Range	Standard deviation
	Thi-Qar	Missan	Basra		
School availability villages	٠.٦٣	٠.٥٩	٠.٨٢	٠.٦٨	٠.١٠
Average number of classes in school	٦.٣٣	٥.٦٠	٨.٠٠	٦.٦٤	٣.٧٧
Average number of students per school	١٧٤.١٦	١٣٠.٥٤	٢٨٢.٦٥	١٩٦	٦٣.٩٦
Average number of teachers per school	١١.٨٧	٧.٢٥	١١.٥	١٠.٢٠	٣.٦٢
Average number of students per class	٢٧.٥١	٢٣.٣١	٣٥.٣٣	٢٨.٧١	٤.٩٨
Average number of student per teacher	١٤.٦٦	١٨	٢٤.٥٧	١٩	٤.١١

ب. أهم المشكلات التي تواجه القرى في موضوع المدارس الابتدائية :

يعاني سكان الأهوار الذين شملتهم الدراسة من مشكلات معقدة في موضوع المدارس الابتدائية، الأمر الذي يؤدي إلى اضطرارهم إ لى إجبار أبنائهم لاسيما الفتيات على ترك الدراس . أن وجود هذه المشكلات يسهم في انخفاض المستوى التعليمي لدى التلاميذ مما يضطرهم لى عدم مواصلة الدراسة ، ومن أهم هذه المشكلات كما حددها السكان أنفسهم هي الآتي —

ا . المدرسة بعيدة جدا عن القرية ونسبة القرى التي تعاني من ذلك هي ٠.٦٢ %.

ا . فضاء المدرسة ضيق جدا ونسبة القرى التي تعاني من ذلك هي ٧.٥٠ %.

ا . أثاث المدرسة غير ملائم أو غير كافي وبنسبة ٢.٧١ %.

ا . كادر الإدارة غير كافي وبنسبة ٤٧. %.

ا . عدد معلمين غير كاف وبنسبة ٨.١٣ %.

ا . مشاكل في بناية المدرسة وبنسبة ٥.٥٦ %.

ا . ضعف في الخدمات وبنسبة ١.٩٠ %.

أن اغلب المدارس المتوافرة في مناطق الأه وار غير مؤهلة بصورة متكاملة بسبب افتقارها للمقومات الأساسية لمؤسسة المدرسة من بناية وغرف درس ومكتبات ومختبرات وساحات لعب وحدائق . أن الوضعية السائدة لشكل المدرسة عبارة عن بناية صغيرة مغلقة تحتوي على مجموعة غرف صغيرة تنعدم فيها الظروف الصحية م ن تهوية وإضاءة . في أهوار الجبايش توجد ٢٤ مدرسة ابتدائيا ، منه ٢٠ تتكون مادة بنائها من الطابوق بينما مواد الأربعة الأخرى من الطين والقصب مناصفة، وتعد حالة ١٥ منها فقط جيد . وفي أهوار محافظة ميسان توجد ٣ مدارس من القصب و ٣ من الطين بينما الأخرى من الطابوق، وتم تصنيف ٣٢ مدرس ة من المجموع الكلي لها على أنها بصورة غير جيدة . في محافظة البصرة توجد ٥ ، دارس من الطين و ٢ من القصب و واحدة على شكل كارفا ر ، و م تصنيف ٥٠ مدرسة على أنها غير جيد .

يدلنا الجدول رقم ( ) أن مجموع المدارس الابتدائية في مناطق الأهوار التي مسحها في ١٦ قضاء و احية في محافظات البصرة و ذي قار وميسان هي ١٣٨ مدرسة، لازالت ٧ منها مبنية بمادة القصب ١٠ بالطين وواحدة على شكل كارفا ر . أن حالة ٤٣ مدرسة منها بصورة

رديئة جدا، بينما يمكن اعتبار ٤٨ أخرى أنها مقبولة نوعا ما، ولا يعني ذلك أن العدد المتبقي من المدارس جيد جدا وفا للمواصفات المعمول بها .

Table (8) No. of the surveyed marshland villages in the three governorates according to the main primary schools problems facing their population & Percentage of each problem to the total No. of problems

Governorate		Problems						
		Very far	Insufficient space	Insufficient furniture	Insufficient administrative staff	Insufficient teaching staff	Problems with building	Lack of service
No. of villages	Thi-Qar	١١	٢٥	٢٥	١٠	١٤	١٦	١٣
	Missan	٣٠	٢٧	٤٦	٨	٤٣	٤١	٢٦
	Basra	١٧	٤٤	٥٣	١	٤٢	٢٨	٢٦
	Total	٥٨	٩٦	١٢٤	١٩	٩٩	٨٥	٦٥
Percentage (%)		١٠.٦٢	١٧.٥٠	٢٢.٧١	٣.٤٧	١٨.١٣	١٥.٥٦	١١.٩٠

Table (9) No. of primary schools in the surveyed marshland villages in the three governorates according to their current status and the kind of the materials used in their buildings

Governorate		Kind of materials				Current State of school		
		Bricks	Clay	reed	Caravan	Good	Acceptable	Poor
No. of Prim. Schools in marshland villages	Thi-Qar	٢٠	٢	٢		١٥	٣	٦
	Missan	٤٢	٣	٣		١٦	٨	٢٤
	Basra	٥٨	٢	٥	١	١٦	٣٧	١٣
Total		١٢٠	٧	١٠	١	٤٧	٤٨	٤٣

أن إجمالي عدد المدارس الابتدائية في القرى التي شملتها الدراسة هو ١٣٨ مدرسة، مجموع ملاكاتها ١٣٩٢ معلم يـ ومون بتعليم ٢٩١٠١ د بـ . عموما فأن ٤٠ ٪ من القرى التي شملتها الدراسة لا تملك مدرسة ابتدائيـ . المشاكل التي تواجه التعليم الابتدائي في مناطق الأهوار والتي ع بر عنها سكان هذه القرى يمكن تلخيصها بالاتي ــ الأثاث المدرسـ ة غير كافية ١٢٤ قريـ ، وعـ دم كفاية هيئة التدريس ٩٩ قريـ ، حيز غـ ر كاف في المدرسة ٩٦ قريـ ، مشكلة في بناية المدرسة ٨٥ قريـ ، بعد المسافة إلى المدرسة ٥٨ قريـ) والإدارة غير كفؤ ١٩ قريـ).

ن حالة المدارس الابتدائية في القرى التي شملتها الدراسة المسحية هي حالة متردية للغاية وبحاجة م اسة وحقيقية لإحداث التغيير فيها ، عموما فأ ٤٠ ٪ من القرى ليس لديها مدارس ابتدائيـ . وتبدو الحالة أكثر سوءا في كل من ذي قار و ميسان، إذ أن نصف قرى أهوار هاتين المحافظ تين بدون مدارس ابتدائية . ـ تتألف بنايات المدارس من مجموعة من الغرف الصغيرة وغرف الإدارة، ويبلغ المتوسط العام سبع غرف في كل مدرسـ . هـ ك عشر ة من المعلمين تقريبا لكل مدرسـ ، وعادة فأن ثلاثة منهم تنـاط هم ا مهام الإدارية والتي تتألف من مدير واثنين من المساعدي ن ، و هذا يقلل من عدد المعلمين الفعليين الذين يقومون بالتدريس، كذلك فأن واجباتهم التدريسية تكون بصورة اقل . جمالى عدد التلاميذ لكل معلم هو

٢١ تلميذ ولكن ستتم زيادتها إلى ما يقرب م ٣٠ طالب ، إذا استثنينا المعلمين المنتدبين لأداء مهام إداري . أن المعيار المعمول به من قبل وزارة التربية هو ٥ ٣٠ تلميذا للمدرس الواحد في العراق .

أن معظم المعلمين في هذه المدارس هم من الذين يعيشون في المناطق والمقاطعات المجاور ، وهذا يشجعهم على وضع دروسهم في يوم واحد أو يومين في الأسبوع بسبب طول المسافة بين المدارس ومنازلهم ؛ ي الأيام الـ طر ة فمن المألوف أن تجد ظاهرة غياب المعلمين بصورة واضحة، كذلك الإجازات المتكررة للمعلمات بسبب الولادة والأمومة ودون توفير بديلات لهن يساهم في نقص حقيقي في عدد المعلمين، وبالتالي فان معدل عدد المعلمين للتلاميذ ستظل غامضا . مع ذلك فأن المعلومات لمشار إليها آنفا ا قدم في حد ذاتها صورة كاملة للمشكلات التي واجهها التعليم الابتدائي في الأهوار وللأسباب التالية ـــ

١ . الإهمال المتواصل من الحكومات السابقة في العراق قضية التعليم في مناطق الأهوار ، ثم جاءت الحرب مع إيران وبعدها عمليات التجفيف، ثم التشريد والنزوح والحصار الاقتصادي ، لتساهم جميعها في فشل التعليم ليس فقط في مناطق الأهوار لكن في جنوب العراق بأكمله .

٢ . عشوائية توزيع المدارس دون أي اعتبار لفهم سليم للتوزيع السكاني والكثافة السكانية ، والحقائق الجغرافية والطوبوغرافيه للمنطقة .

٣ . الأساليب التقليدية في التعليم التي تعتمد الحفظ والتلقين بدلا من الإبداع والابتكار ولا تنحصر هذه المشكلة في مناطق الأهوار وإنما في عموم العراق .

٤ . نقص القدرات التعليمية للمعلمين في المنطقة نتيجة لعدم كفاية التدريب وعدم توافر برامج جديد ، ومن المعروف أن معاهد تدريب المعلمين تقبل أصحاب المعدلات المنخفضة من خريجي الدراسة الثانوية .

٥ . الثقافة التقليدية لدى سكان هذه المناطق التي تجعلهم يميلون إلى الاعتقاد أن التعليم لا يشكل جانبا هاما في الحياة أو ذا أهمية قليلة جدا، لذا فأن الفتيات يتم منعهن من التعلم ويجبرن على ترك المدرسة في سن مبكر .

أنني أرى من الضروري تسليط الضوء على بعض الحقائق المتصلة بالتعليم في الأهوار ، التي تتمثل في ارتفاع معدلات الأمية لاسيما بين الفتيات والأطفال الذين يتركون المدارس في مراحل مبكرة، هذه الحقائق القاتمة حقا رسم صورة مأساوية لـ لتعليم في الأهوار . على أية حال فأن العدد الإجمالي لتلاميذ المدارس الابتدائية المشار إليها في هذه الدراسة قد لا تشير إلى العدد الكلي للأطفال الذين هم في سن - ٢ سنة، إذ يعتقد أن هناك عددا هائلا من الأطفال الذين لم يذهبوا إلى المدارس ، ولم يسجلوا فيها، أو أن هناك العديد منهم قد ترك الدراسة منذ أكثر من سنة .

أن أكثر مباني المدارس الابتدائية في حالة سيئة للغاية رغم أن ١٢٠ منها مبنية من الطابوق و ٧ من الطين و ١٠ من القصب والمادة فقط على شكل كارفانز . وهناك ٤٧ مدرسة فقط تم تصنيفها في حالة جيدة على الرغم من أنها لا تضم ساحات لعب أو حدائق أو مراسم أو صالات موسيقى حيث أن هذه الأنشطة غير معروفة ولا يهتم بها . أن أفضل مساحة لهذه المدارس لا تتجاوز ٦٠٠ متر مربع أما اصغر مساحة للمدارس الابتدائية فإنها تتراوح بين ١٨٠ الى ٢٥٠ متر مربع . توجد ٤٨ مدرسة ابتدائية تم تصنيفها على أنها في وضع مزبول لأنها تحتوي على مواصفات الحد الأدنى ، وهناك ٤٣ مدرسة في حالة سيئة للغاية . عموما فان جميع هذه المدارس بما فيها التي صنفت على أنها جيدة هي في الحقيقة لا تتطابق مع المعايير الدولية . أن معظم هذه المدارس لا تمتلك مؤهلات ضرورية لا غنى عنها في أية مدرسة مثل التهوية والإنارة والحدائق والملاعب ووسائل الإيضاح ومختبرات الصوت بالإضافة إلى انعدام النشاطات اللاصفية، كذلك فان اغلب هذه المدارس تقع بالقرب من الطرق أو كراجات السيارات والأسواق التي يكثر فيها الضوضاء مما يؤثر على إمكانية التلقي السليم للمعلومة من قبل التلاميذ .

الفصل الثالث. الثقافة التقليدية:

تتميز أغلب المجتمعات الريفية في الدول النامية بشيوع الثقافة التقليدية التي تتقاطع مع مفردات التحضر والمدنية . ومع اعترافنا بحصول انتكاسة كبيرة في الثقافة العراقية بصورة عامة، نتيجة المشكلات المعقدة التي تعرض لها المجتمع العراقي طيلة الثلاثة عقود الماضية، فأن هذه الانتكاسة كانت كبيرة بالحجم الذي أدى بها إلى ابتلاع التقدم الذي حصل عليه المجتمع العراقي طوال عقود من الزمن . وإذا كان هذا وضع الثقافة في عموم العراق فان ذلك كان بصورة اشد في الريف والأهوار .

أن الأهوار التي ظلت بعيدة عن وجود آليات تغيير حقيقي طوال حقب الدولة العراقية الحديثة منذ عام ١٩٢١ ، ظل سكانها على الدوام يعانون من التهميش والصد الاجتماعي ومن الإهمال وعدم الاهتمام الحكومي بكافة صوره . لقد شهد النصف الثاني من عقد السبعينات وصول الكهرباء إلى الكثير من القرى في الأهوار فضلا عن فتح مدارس في أعماق الأهوار، وكان لهذا الأمر أثره الايجابي المستقبلي لو استمر طويلا، إلا أن الحرب العراقية – الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ أجبرت مئات القرى الواقعة شرق نهر دجلة على النزوح من مواقعها مما أدى بهم إلى الانقطاع عن المدرسة، بعد ذلك حصل النزوح الأكبر والتهجير لكافة قرى ومستوطنات الأهوار الوسطى وهور الحمار في عام ١٩٩١ ثم جاءت عملية التجفيف في عام ١٩٩٣ لتجهز نهائيا على تلك الانجازات .

لقد أرغمت عمليات التهجير والمطاردة المستمرة سكان الأهوار على اعتبار التعليم أمرا كماليا ، الأمر الذي سهم في ا تشار الأمية بينهم و بصورة خطيرة جدا . وفي ظل انتشار الأمية تنمو مفردات التخلف بكافة صوره، وتطب ع حياة المجتمع الثقافة التقليدية التي تلقي بظلالها الثقيلة على الحيا .

ولكن ما المخيف في انتشار العادات والتقاليد والأفكار والقيم القديمة إذا كانت هي نفسها موجودة دى الأجداد في السابق؟ أن المخيف في هذه جميعا هو عملية الاجترار المة ت والعقيم للقناعات الاجتماعية التي تبيح امتهان المرأة وممارسة العنف ضدها وضد الطفل بكافة صوره،وعدم الاهتمام بالصحة والتعليم،والركون إلى القدر في تحقيق الأهداف،والتمسك بالفوضى بدلا من التنظ يم وعدم استثمار الحياة الإنسانية بالشكل السليم،وأيضا هدر الموارد وتلويث البيئة واعتماد الطرق البدائية في الصناعة والتجارة .. والى آخره من مفاهيم لم تعد متداولة في العصر الحديث .

أن التعليم حد أهم القنوات الرئيسة المستخدمة في إحداث التغير الثقافي، وإذ ا كان لتعليم متخلفا فلا بد أن تكون الثقافة متخلفة أيضا، وبوجود ثقافة متخلفة لا يوجد تقدم على الإطلاق لذا فأنني أجد متلازمة التعلي – التغير الثقاف – التقدم الاجتماعي) هي الفرضية التي يجب أن نتبناها إذا أردنا إحداث التغير في عموم المجتمع العراقي بصورة عامة و الأه وار بصورة خاصة ولابد أن نعترف هنا أيضا بان تردي واقع التعليم في مناطق الأهوار هو احد أهم أسباب تكريس الثقافة التقليدي .

أن التعليم هو عملية الاكتساب المعرفي الذي يتلقاه الإنسان من القنوات الرسمية أو غير الرسمية على مدى مراحل حياته، وبما أن مصطلح الثق افة يشير انثروبولوجياً لمختلف أنواع السلوك الإنساني في مجتمع ما، بصرف النظر عن مدى درجة الرقي والتقدم التي وصل إليها ذلك المجتمع، فأننا نفهم بأن الثقافة تعني العادات والتقاليد والأفكار والقيم والأعراف، بل وحتى المعتقدات بدءا من عادات تناول الطعام مروراً بط رق تحكم الناس بسلوكهم تجاه بعضهم البعض وعادات الزواج والملابس ، فض المنازعات و اللغة ، بناء المساكن .. الخ . أن نتاج الثقافة هو ما يبرز على شكل سلوك أنساني ظاهر وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه يمكننا أن نخلط بين الثق افة وبين الأفعال السلوكية نفسها ، فأساليب السلوك التي تكون ثقافة أي مجتمع هي عبارة عن تعميمات لسلوك كل أو بعض أفراد ذلك المجتمع فهي لا تصف بدقة ولا تتناول العادات الشخصية لأي فرد من أفراد ذلك المجتمع، ومن الخطأ الاعتقاد بان ثقافة من الثقافات تحدد نفس السلوك بدقة لكل من أفرادها [١] .

تعني الثقافة في نظر علماء الاجتماع جوانب الحياة الإنسانية التي يكتسبها الإنسان بالتعلم لا بالوراثة، ويشترك أعضاء المجتمع بعناصر الثقافة تلك التي تتيح لهم مجالات التعاون والتواصل، وتمثل هذه العناصر السر ياق الذي يعيش فيه أفراد المجتمع . وتتألف ثقافة

المجتمع من جوانب مضمرة غ ر عينية مثل المعتقدات والآراء والقي) التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة، ومن جوانب عينية ملموسة مثل الأشياء والرموز أو التقانة) التي تجسد هذا المضمون [١١].

وتتشكل الثقافة من م جموعة معقدة تشتمل على المعرفة و العادات والتقاليد والأفكار والقيم والمع قدات والفنون والأخلاق التي تميز مجتمع ما عن غيره من المجتمعات إلى حد ما والتي يكتسبها الإنسان من خلال عضويته في هذا المجتمع . أن منظومة الأفكار هي الـ ي تحدد ما هو مهم ومحبذ ومرغوب) في المجتمع، وهذه الأفكار المجردة أو القيم هي التي تضفي معنى محدد، وتعطي مؤشر رات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر، أما المعايير فهي قواعد السلوك التي تعكس أو تجسد القيم في ثقافة ما . وتعمل القيم والمعايير سويا في تشكيل الأسلوب الذي يتصرف به أفراد ثقافة ما إزاء ما يحيط بهم [١]. وتتفاوت القيم والمعايير وتختلف اختلافا بينا من ثقافة إلى أخرى .

ويدل مصطلح الثقافة على أساليب السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات وليس في مجتمع واحد فقط ويؤدي تعدد الاتصالات بين المجتمعات إلى انتشار بعض جوانب الثقافة فيما وراء حدود المجتمع الواحد بحيث تصبح مشتركة بين عدة مجتمعات، والشائع أن ترتبط هذه الثقافات الإقليـ ية بمناطق بيئية معينة، حيث يمكن أن تحدث بعض جوانب التكيف البيئية المتماثلة، وهذا ما ينطبق على مجتمعات الأهوار التي تعيش في بيئة متماثلة أولديها أساليب سلوك شائعة بين جميع مجتمعاتها المحلية على الرغم من وجود العديد من الثقافات الفرعية بين هذه المجتمعات والـ ي تميز بعضها البعض في أدق تفاصيل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

أن الإنسان الذي يخضع لعملية تربية وتعليم منذ لحظة الولادة يظل خاضعا لعملية التلقي والتلقين وبدرجات متباينة من الحدة والتركيز تارة، ومن التكثيف تارة أخرى الأمر الذي يجعل الفرد يكتسب أساليب ثقافته تدريجياً لتصل في أحيان كثيرة إلى الحد الذي يجعله يندمج وينصهر فيها، وبالطبع فأن ذلك يكون شخصيته الخاصة به، وهو أيضا يشارك في تعميم ثقافة مجتمعه الذي يعيش فيه ويدافع عنه . أن التربية كما يقول Linto هي عبارة عن نمط مركب من القدرات العقلية وال مدر ت الحسية والأفكار والعادات الفردي ة والاستجابات العاطفية المشروط) [١٢].

تعتمد شخصية الإنسان في جانب منها ع لى بعض القدرات والاستعدادات الو راث ة والمكانات، والأدوار التي يشغلها إثناء حياته، والتعليم الذي يتلقاه الفرد داخل ثقافة بعينها ، وإذا تكللت عملية التربية بنجاح وهو ما يحدث فعلاً فأن الفرد يصبح وقد اكتسب بذلك تراث مجتمعه بقدر م . بمعنى انه تعلم كيف كيف نفسه على الحياة مع الآخرين في مجتمعه وكيف يحقق التكامل بين رغباته ومثله العليا وبين انساق القيم السائدة في الجماعة [١٣]. من هنا

ندرك مدى التلازم بين م فردات الثقافة والسلوك والتربية والتعليم ومدى تكاملها في عملية تطوير الحياة بمختلف صورها الاجتماعية والاقتصادية، وإذا كان الانثروبولوجيون طلقوا على العملية التي يتعلم من خلالها الإنسان ثقافة مجتمعه بعملية التنشئة الثقافية، فان علماء الاجتماع أطلقوا عليها ، عملية التنشئة الاجتماعية وإننا لا نجد فرقاً كبيراً بين فحوى العمليتين اللتين تدلان على التربية والتعلي ، ومع ذلك فان التربية عند الأنثروبولوجيا تمثل عملية أوسع نطاقا من مفهوم المؤسسات الرسمية الذي يؤطرها، بل تتضمن أنواع التعلم كافة، الرسمي منها وغير الرسمي ، الذي يؤدي إلى اكتساب الفرد للثقافة وتكوين شخصيته وتعلمه القدرة على أن يكيف نفسه مع الحياة كعضو في المجتمع [٤]. وفي ظل غياب الجانب الرسمي في التربية والتعليم متمثلة في قناتها الرئيسية المدرسة) في مناطق الأهوار التي نحن بصدد دراستها هنا فأن المجتمعات هناك تمارس فيها عملية التربية والتعليم من قبل أفراد غير متعلمين الأمر الذي يؤدي بهذه المجتمعات إلى أن يكتسب الفرد فيها الجانب الأكبر من تربيته أو مجمل العملية التربوية من خلال الأسرة التي يعيش فيها، وأيضا من خلال أبناء العمومة والعشيرة، والأصدقاء، والجيرة، واا رفقة إذ يتعلم الطفل والمراهق والشاب مفردات ثقافته من خلال المشاركة في نسق الالتزام ت المتبادلة بين الأقارب، وفي عمليات التنظيم الاقتصادي، وفي الطقوس، والمراسيم الدينية، وجلسات السمر التي يتخللها قص الأساطير والحكايات في ظل غياب تام أو شبة تام للمؤسسات الرسمية مثل المدرسة ووسائل الاتصال الجماهيري مما يجعل من عملية الثقافة والتعليم في مناطق الأهوار تدور في حلقة مفرغة ومغلقه على نفسها بل وتحاول أن تكون بمعزل وبمنأى عن باقي الثقافات الأخرى وهكذا تتعلم الأجيال الصغيرة من التي سبقتها كيف تكرس حالات التخلف والنكوص والتردي في ، ختلف أوجه الحياة وفي شتى الصور .

لقد تربى سكان الأهوار على مجموعة كبيرة من المفاهيم الثقافية التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، وتظهر هذه المفاهيم وبدرجة واضحة وكبيرة في مجمل الأطر التي يؤطرون بها حياتهم بدءاً بالعلاقات الاجتماعية ومروراً عادات الملابس والطعام والمراسيم الطقوسية، وبناء المساكن، وانتهاء بمراسيم الأفراح والأحزان، والعقوبات الجزائية والزواج والطلاق وغيرها من صور الحياة الأخرى . أن المجتمعات البدائية ومن ضمنها مجتمعات الأهوار تحمل قدراً كبيراً من الاهتمام بالأعراف الاجتماعية و القيم والأفكار التي يتوارثها الأبناء عن آبائهم وأجدادهم، ومن الصعوبة بمكان إقناع البعض منهم انه يجب تغيير أو تعديل بعض هذه المفاهيم واقتلاع البعض الآخر منها من الجذور . أن من الممكن القول أنهم غير مبالين أو غير مصدقين بأن للثقافة التقليدية التي يحملون مفاهيمها دور كبير ومؤثر في تكريس حالات التخلف الاجتماعي والاقتصادي .

نتائج الدراسة:

نستخلص من هذه الدراسة مجموعة من النتائج يمكن إيجازها بالآتي ـــ

أولا . يـ د واقع التعليم في مناطق الأهوار متخلفا ومترديا صورة يمكن وصفها بالخطيـ .

ثانيـ . تعرضت أغلب هذه الـ ناطق ـ ليات تهـ ير ونزوح طوال عقدي الثمانينات و التسعينات، منذ اندلاع الحرب العراقية الإيرانية مروراً بالمطاردات المسلحة وعملية تجفيف الأهوار وما تلتها من كوارث ومحن، سهمت جـ يعها في تردي واقع التعليم لديهـ .

ثالثـ . أثرت الهجرات في مجمل انساق البناء الاجتماعي الا كولوجي، الاقتصادي، القرابي والثقافيـ) لدى سكان الأهوار، مما أحدث العديد من المشكلات الاجتماعية التي لازال هؤلاء السكان يعانون منهـ .

رابع . ينخفض المستوى التعليمي بين النسبة العظمى من سكان قرى الأهوار العائد ة من النزوح لتصل بينهم الأمية إلى ما نسبته ٠ ٪ ، بـ نما تنخفض هذه النسبة كثيرا بين أقرانهم من المجتمعات الأكثر استقرار والأقل تعرضا للتهجير والنزوـ .

خامس . أن ارتفاع نسب الأمية بين سكان الأهوار يقف حجر عثرة في طريق التغيير الثقافي والاجتماعي مما ينعكس سلبا على مجمل مجالات حياتهم الاجتماعية والاقتصاديـ ، وـ لى اطر فهمهم للحياة نفسهـ .

سادس . لا زالت الكثير من القرى وخصوصا قرى العائدين من النزوح تفتقر إلى وجود مدارس ابتدائـ ، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة أعداد الأميين باستمرار، وهناك مشكلة أخرى تتعلق بقلة أو عدم وجود مدارس متوسطة أو ثانوية مما يؤدي إلى حرمان معظم الأطفال الذين يجتازون المرحلة الابتدائية من إكمال تعليمهم وخصوصا الفتيات اللا ي يحرمهن ذويهن من مواصلة التعليم في المدارس المختلط .

سابع . لازال التعليم ينظر إليه بصورة ثانوية لدى الكثير من السكان هناك، الأمر الذي يجعل من عملية عدم تسجيل الصغار في المدرسة أو إجبارهم على تركها بعد فترة وجيزة أمرا متعارفا عليـ .

ثامن . تفتقر المدارس الابتدائية المتوافرة في مناطق الأهوار في الوقت الحاضر إلى الحدود الدنيا الواجب تواجدها في المدرسة كشرط أساس لإنجاح العملية التربوية وتنمية الطاقات والقابليات لدى الصغار والشباب من اجل استثمارها بالشكل الصحيـ .

تاسع . لم تسهم العملية التي أطلق عليها إنعاش الأهوار طوال الستة أعوام الماضية بتغيير واقع الأهوار على كافة المجالات، ومنها التعليم، نحو الأفضل .

عاشر . سهمت عمليات التخبط والعشوائية التي رافقت أنشطة الوزارات التي عملت في الأهو ر بعد عام ٢٠٠٣ في تكريس مأساة سكان الأهوار بدلا من تخفيفها وبالتالي فقد حرم هؤلاء مجددا من الخدمات الضرورية للتنمية الاجتماعية ومنها التعليم والصحة .

حادي عشر . اتضح جليا ان انخفاض مستوى التعليم وانتشار الأمية في الأهوار تغذي الثقافة التقليدية والعكس صحيح، ا لأمر الذي جعل سكان هذه المناطق يدورون في دوامة الأمية والتخلف والمرض وفي اغلب الأحيان الفقر .

التوصيات والمقترحات:

ا . ضرورة فتح مدارس ابتدائية ومتوسطة جديدة يتعين بناؤها في المستقبل القريب ، بالإضافة إلى تأهيل المدارس الموجودة في الوقت الحاضر وتحسين مستلزما ها بما يتناسب مع المعايير الدولية ذات الصلة و لى النحو المطلوب سعة المكان ، الهدوء ، ا حدائق، ساحات اللعب ، ا مختبرات، المكتبات والمسار ، الإضاءة والتهوية الملائمتين ، والنظا ... الخ .

ا . مراعاة التوزيع العادل للمدارس الجديدة المزمع أقامتها في مناطق الأهوار مع ضرورة أن يكون هذا التوزيع مبني على أسس علمية يراعى فيها عدد المستفيدين والبعد المكاني لبعض القرى النائية .

ا . توفير دعم مالي ا تلاميذ في مناطق الأهوار لغرض تشجيع ذويهم على إرسالهم إلى المدارس بدلا من إجبارهم على القيام بإعمال الرعي التي يكلفون بها صغارهم و يمنعونهم من الذهاب إلى المدارس .

ا . تقديم حوافز مالية ومعنوية لمعلمي المدارس التي تقع في المناطق النائية لغرض تأدية واجباتهم بصورة أفضل تساعد التلاميذ في الأهوار على تحقيق مستويات جيدة .

ا . زج المعلمين في مناطق ا هوار بدورات وورش عمل لغرض تدريبهم على الأسا ليب الحديثة للتربية والتعليم .

ا . زيادة الوعي الاجتماعي بأهمية التعليم من خلال إقامة ورش العمل والحلقات الدراسية والندوات الجماهيرية لعموم سكان الأهوار من اجل تعزيز مفاهيم الثقا ، أهمية العلم والمعرفة والتعليم، حقوق الإنسان وخصوصا المر ة والطفل .

ا . محاربة العنف ضد الأطفال واعتبار منع الأهالي لأطفالهم من التسجيل في المدارس أو مواصلة الدراسة فيها هو احد اشد أنواع العنف ضد الأطفال لأنه يساهم في حرمان هؤلاء الأطفال من التعليم مما يجعلهم خارج دائرة البناء الفكري السليم للإنسان، الأمر الذي يقلص فرصهم ويحدد اختيا راتهم في الحياة وبالتالي يؤهلهم لارتكاب أنشطة تض ر بهم وبالمجتمع الذي يعيشون فيه .

١ . البدء بمشاريع محو أمية في مناطق الأهوار على الأقل بين الفئات العمرية التي دون سن الخامسة والعشرين ولكلا الجنسين .

١ . فتح مدارس خاصة بالتلاميذ المتسربين الذين يتعذر رجوعهم إلى مراحلهم السابقة بسبب كبر سنهم في الوقت الحاضر .

١٠ . تفعيل الحكومة لقوانين التعليم الإلزامي في عموم العراق وخصوصا في مناطق الأهوار وتعريض الأهالي الذين يمنعون أطفالهم من الذهاب إلى المدارس أو يجبرونهم على تركها إلى المساءلة القانونية .

الهوامش:

1. E. b. Taylor, "primitive culture", London, 5th ed, 1913, PP. 3-4.

٢ . علاء الدين جاسم البياتي ، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مؤسسة الأعلمي ـــ دار التربية بيروت – بغداد ٩٧٥ ، ص ١٥.

3. Clyde klukhohn and William Kelly, "the concept of culture" the sconce of man in the world crisis. Ed Ralph Linton "N.Y" Columbia university press, 1945, PP.95-99.

٤ . لوسي مير، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة شاكر مصطفى سليم، دائرة الشؤون الثقافية بغداد ٩٨٣ ، ص ٣٨٨.

٥ . المصدر نفسه ، ص ٣٥٧.

٦ . المصدر نفسه ص ١٨ .

٧ . أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ٢٠٠٥ ص ١٢ .

٨ . المصدر نفسه ص ١٣ .

9. Ralph Linton, The study of Man "N. Y "Appleton century, 12 crofts, 1936, PP. 403 – 408.

١٠ . محمد الجوهري ، انثروبولوجيا – أسس نظرية وتطبيقية عملية، دار المعرفة الجامعية ٩٧٧ ، مصر الإسكندرية، ص ١١١ .

١١ . المصدر نفسه ص ١٠٩ .

المصادر العربية

١ . علاء الدين جاسم البياتي ، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مؤسسة الأعلمي ـــ دار التربية بيروت – بغداد ١٩٧٥ .

٢ . لوسي مير ، مقدمة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة شاكر مصطفى سليم، دائرة الشؤون الثقافية بغداد ، ١٩٨٣.

٣ . أنتوني غدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٥ .

٤. محمد الجوهري، انثروبولوجيا – أسس نظرية وتطبيقية عملية، دار المعرفة الجامعية، مص – الإسكندرية ١٩٧٧.

The English sources:

1. E. b. Taylor, "primitive culture", London, 5th Ed, 1913.

2. Clyde klukhohn and William Kelly, "the concept of culture" the sconce of man in the world crisis, Ed Ralph Linton, "N.Y" Columbia university press, 1945.

3. Ralph Linton, The study of Man, "N. Y "Appleton century crofts, 1936.